المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 02-06-2008 العـــدد : 16476
الصفحـات : 25 المسلسل : 167

ملف صحفي

التعايش السلمي

د.مصطفى الزياط

تعاظم الأخطار البيئية يهدد سلامة الميزان الصحي البشري

ومن بين أوراق العمل المقدمة لمؤتمر الحوار الإسلامي العالمي الذي يعقد بعد غد الاربعاء بدعوة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ورقة د.مصطفى الزياط مدير الأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي، يستهلها بقوله :

لقد اكتشف الإنسان اليوم أمام مدركاته العقلية ومكتشفاته الصناعية ومبتكراته التكنولوجية هول المأساة التي تهدد حاضره، ومستقبله، بتعاظم الأخطار البيئية والمشكلات الطبيعية منها: تلوث الهواء، وندرة الموارد المائية، وارتفاع درجات الحرارة وتراجع التنوع البيولوجي، واستنزاف طبقة الأوزون الواقية للأرض والكائنات، وانجراف التربة، واختفاء الغابات وتهديد التوازن الطبيعي، وازدياد مساحة الصحراء. ومع هذه التحديات التي أفضت إلى الاختلال في النظام البيئي القائم على التوازن والاعتدال، أدرك الإنسان حجم الخلل القائم بينه وبين بيئته التي تشكل الإطار الذي يحيا فيه، والمقوّمات الحيوية المتمثلة في غذائه وماواه، وعلاقاته الإنسانية من عادات وقيم وأخلاق.

من هنا تنامى الاهتمام في العصر الحديث أكثر بقضايا البيئة ومشكلاتها ، وتزايد الوعي بأخطارها وضرورة حمايتها من أضرار الأنشطة البشرية المقودة بشهوة الأنانية، والسيطرة المستبدة اللامحدودة في مجالي الإنتاج والإستهلاك، مما دعا علماء البيئة والمفكرين الاستراتيجيين وبناة الحضارات والغيورين على مستقبل البشرية، إلى إيلاء الاهتمام للعلاقة المتبادلة بين الإنسان والمحيط البيئي الذي يعيش فيه، فدعوا إلى دراسة هذه الأزمة التي ترجع إلى خلل وصدام في العلاقة بين الإنسان والنظامين البيئي الطبيعي والحضاري على السواء، ومن ثمّ مضى المسؤولون في المنظمات الدولية والإسلامية والمفكرون يبحثون عن حصون أخلاقية وحلول قيمية جديدة تعيد السلام والتعايش الإيجابي بين الإنسان والبيئة، وتنامى الوعي البشري بما تخلفه الأنشطة البشرية الضارة والحركات الصناعية الملوثة من مخاطر مخربة للموارد الطبيعية ومهددة لسلامة الميزان الصحي البشري،

ويمضي د. الزياط في ورقته يقول : وإذا كانت البيئة في أوجز مفاهيمها تعني عند علماء البيئة الوسط الذي يحيا فيه الإنسان بما يحتويه من نظم بحرية وبرية وجوية لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته بمواردها، فإنّها تعني في الإسلام جماع المكونات الطبيعية والحضارية والصناعية والاجتماعية التي يحكمها نظام شامل من العلاقات المتفاعلة والمتكاملة القائمة على قاعدة تعبدية قيمية لسلامة الوجود البشري والطبيعي من الفساد والدمار.

من هنا يجدر بنا أن نتساءل عن المرجعية القيمية للحماية من الأخطار البيئية وصون السنن الإلهية في المخلوقات الكونية؟.

إذا كانت العلوم الفلسفية التي ركزت اهتمامها على علاقة الجنس البشري بالطبيعة فيما أصبح يسمى بـ«الفلسفة الإيكولوجية» (Ecological philosophy)، قد ربطت الأخلاق بالبيئة، وعنيت بدراسة علاقة الإنسان بالأرض باعتباره كائناً فاعلا ومتفاعلا مع بيئته، وعنصراً رئيساً في التنمية المستدامة، فإنّ الإسلام كان سبّاقاً إلى إشارة الوعي بهذه العلاقة التفاعلية بين الإنسان وبيئته، وكان حاضناً لأرقى

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 02-06-2008 العـــدد : 16476
الصفحـات : 25 المسلسل : 167

القيم البانية للعلاقة السليمة بينهما.

وإذا كان الله قد سخّر للإنسان ما في الكون من مخلوقات فإنّه جعل ملكيته محدودة بالانتفاع المشروع الذي يحفظ حق الحياة، ومنضبطة مع الناموس الإلهي في هذا الكون. نستخلص مما سبق أنّ المجتمعات الإنسانية اليوم بحاجة أكثر إلى مراجعة منظورها البيئي، وتقويم علاقتها بالمخلوقات الكونية، للتحاور معها على أساس الاحترام والمحبة والوعي بالقيم والغايات السامية لوجودها، يقول تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) (الغاشية:١٧-٢١).

وتقتضي هذه المراجعة إيجاد «أخلاق وقيم بيئية جديدة» تستند إلى تعزيز المفهوم العمراني لخلافة الإنسان في الأرض، وترسيخ الأبعاد القيمية في النشاط الاجتماعي، والوعي بالمعاني المقدّسة للمخلوقات الإلهية في الكون، والإيمان بوحدانية الله وبوحدة مكوّنات عناصر الكون التي تشبه إلى حدّ كبير وحدة التكوين البشري للمؤمنين، كما نجد في الحديث النبوي الشريف «مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (أخرجه البخاري).

بناءً على ذلك، نستطيع القول بأنّ المجتمع البيئي الذي أشار إليه تعالى «بالأمة» يمثل وحدة متناغمة بين عناصره ومكوّناته المائية والهوائية والنباتية والحيوانية والبشرية، فإذا أصيب عنصر بضرر، انتقلت آفاته إلى الأعضاء البيئية الأخرى، تأكيداً لقانون «التوازن» الذي يقوم على التفاعل والتأثير بين المكوّنات البيئية المختلفة.